تجليات التكامل المعرفي

في أعمال طه عبد الرحمن وفكره

أ.عمار صويلة

جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة

مقدمة:

في زمن أصبح فيه التطور والتغير إحدى سماته الأساسية ،إذ أن كل شيء أضحى يتغير ويتبدل بتسارع كبير،علينا أن نتعرف على ثوابتنا الفكرية والثقافية التي لا تقبل التغيير والتبديل،كما يجب أن لا نغفل عن المتغيرات في منظومتنا الفكرية والثقافية،وعندما نتعرف على الثوابت والمتغيرات نستطيع المحافظة على المبادئ والقيم والتواصل مع العصر في آن واحد.

من هنا جاء هذا البحث محاولة لتوضيح رؤية عالم ومفكر قدير في هذه القضايا ذات البعد الفكري والثقافي.وان الفكر الإسلامي في هذا الزمن بحاجة ماسة إلى مفكرين يتقنون ويحسنون عرض أفكارهم ومبادئهم وقيم ثقافتهم بأسلوب جذاب ومنطقي .

ويعد التكامل والتداخل بين العلوم من صميم القضايا التي تستوقف الباحث المتخصص في العلوم الإسلامية ،أو في فهم الآليات المنتجة لهذه العلوم،أو في تمثل المفاهيم الحاضرة في هذه الآليات، سواء في المضامين الأساسية لهذه العلوم في مركباتها الداخلية. ومن ثمة فان أي مقاربة لهذه

المحتويات المكونة للعلوم الإسلامية في بنائها الداخلي أو في بنائها الخارجي يجب أن يستحضر هذا المعطى العلمي التداخلي الحاصل في النسقية المكونة للعلوم الإسلامية،وهذا المنحى القائم على تأسيس العلوم على البعد التداخلي هو الذي استقر عليه الباحثون مؤخرا ومنهم مفكرنا طه عبد الرحمن،حيث يقول" أن العلاقة التداخلية والتكاملية ،كانت هي الصفة البارزة ، والمسيطرة على جميع العلوم التي نشأت وتطورت ، ونمت في أحضان الثقافة العربية الإسلامية"[1].

وهذا التداخل والتكامل القائم في العلوم الإسلامية ، كشف عنه كثير من العلماء ، وأقره عديد الباحثين ، وأثبته المشتغلون بالتراث العربي الإسلامي ، في سياق درسهم لموضوع تصنيف العلوم وترتيبها ، من حيث الحاجة وبيانه من مكانة العلم في الإسلام [2]وذلك عن طريق الفصل بين علوم الوسائل ، وهي العلوم المقصودة لغيرها لا لذاتها والتي تنعت بعلوم الآلة ، لأنها آلة لغيرها من العلوم . وعلوم المقاصد ، وهي العلوم المقصودة لذاتها ، لا لغيرها ، فقد ذكر ابن حزم أن : " العلوم كلها ، كان بعضها متعلق ببعض ، ومحتاج بعضها إلى بعض"[3]

وهذا التداخل والتكامل بين العلوم ،الذي اهتم به كثير من الدارسين والباحثين هو الذي جعلهم يتوجهون نحو البحث عن الأسباب والعمل على رصد النتائج ومتابعة الآثار ، والكشف عن البواعث، التي كانت وراء هذا التداخل الحاضر بقوة وبشكل جلي في العلوم الإسلامية، ويقرون في الوقت نفسه بأن التداخلية

[1] د.حسن ملكاوي.منهجية التكامل المعرفي. مقدمات في المنهجية الاسلامية،منشورات في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.2012.

2-د.سالم يفوت.مكانة العلم في الثقافة الإسلامية .دار الطليعة.بيروت.لبنان.2005

3- ابن حزم .مراتب العلم.89/4

بين العلوم كانت من أبرز الخصائص المميزة للعلوم في التراث العربي الإسلامي .

ومن أبرز الباحثين المفكرين الذين قدموا إسهامات متميزة وإجابات جوهرية والذين اختاروا الاشتغال بمرجعية التداخلية في العلوم للكشف عن التطور الحاصل فيها ، وتمثل الآليات والبنيات المشكلة والمشتركة بين هذه العلوم المفكر المغربي طه عبد الرحمن الذي شكل إنتاجه الفكري مشروعا حضاريا قائما بذاته، لما تضمنه من جدة في الطرح ، وتجديد في المفاهيم والمناهج، ظل يتألق في فضاء الفكر العربي الإسلامي المعاصر حيث صرح بان التداخلية بين العلوم ، كانت من ابرز الآليات التي اتخذها واستند عليها في مقاربته للتراث العربي الإسلامي، وفي مدارسته للعلوم الإسلامية، أو في رصده لتاريخ العلوم ككل، كما صرح بالتزامه من حيث هي منهج ، في مدارسته للتراث العربي الإسلامي ، أو في بحثه عن الآليات المنتجة للمضامين المحمولة في هذا التراث ، فقد صرح علنا بقوله: " نقول نحن بالتداخلية ، والتكاملية بين العلوم ، ويقول خصمنا بالتقاطعية والتفاضلية في علوم التراث "[1]

-**تعريف بالمفكر الفيلسوف طه عبد الرحمن**. المفكر طه عبد الرحمن من مواليد 1944 بالمغرب ، تلقى دراسته الابتدائية بمدينة الجديدة ثم تابع دراسته الإعدادية بمدينة الدار البيضاء ،ثم بجامعة محمد الخامس بالرباط حيث نال الإجازة في الفلسفة ، واستكمل دراسته بجامعة السربون، حيث حصل منها على إجازة ثانية في الفلسفة ودكتوراه السلك الثالث عام 1972 برسالة في موضوع اللغة والفلسفة : رسالة في البنيات اللغوية لمبحث الوجود " ثم دكتوراه دولة عام 1985 عن أطروحته " رسالة الاستدلال ألحجاجي والطبيعي ونماذجه " درس المنطق وفلسفة اللغة في جامعة محمد الخامس بالرباط منذ 1970 إلى حين تقاعده 2005 وهو عضو في الجمعية العالمي للدراسات الحجاجية وممثلها في المغرب ، وعضو في المركز الأوربي للحجاج ، وهو رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين في المغرب ، حصل على جائزة المغرب للكتاب مرتين ، ثم على جائزة الاسيسكو في الفكر الإسلامي

1-طه عبد الرحمان.تجديد المنهج في تقويم التراث..76

2 - المشروع الفلسفي لطه عبد الرحمن :المفكر طه عبد الرحمن مفكر متخصص في المنطق واللسانيات،يؤمن بتعدد الحداثات ويسعى لتأسيس حداثة أخلاقية إنسانية انطلاقا من قيم ومبادئ الدين الإسلامي،وأهم ما يميز المشروع الفلسفي لطه عبد الرحمن هو الخروج عن الطريق الذي اتبعه الغرب والعرب على حد سواء في النظرة للعلوم الإسلامية.

و يمكن القول بأن المشروع الفلسفي للمفكر طه عبد الرحمن ينقسم منطقيا وليس مرحليا إلى عناصر ثلاثة .أولا :فك الارتباط والتماهي في الفلسفة عموما، ومفهوم الحداثة خصوصا في الفكر الغربي ،وبذلك يصبح ممكنا أن تقوم لكل ثقافة فلسفة خاصة وفكر وجداني خاص مميز لها وثانيا يرتبط بإعادة العلاقة بالأخلاق باعتبارها عمل وليس نظر وبين الفلسفة النظرية عموما، ومفهوم الحداثة خصوصا، وبذلك يصبح الفكر النظري والعمل الأخلاقي وجهين لعملة واحدة وثالثا هو تأسيس مفهوم العمل الأخلاقي على مبادئ وقيم الدين الإسلامي على قراءة معاصرة للقرآن الكريم،وذلك باعتبار الدين الإسلامي رسالة إنسانية في المقام الأول وقد ترتب على هذا التصور معارضته للفكر الغربي الحديث على أساس استبعاده للأخلاق بالمعنى العملي ومعارضته للفكر الإسلامي القديم والحديث على أساس النقص في التنظير لهذا المبدأ الأخلاقي، وبالتالي أصبح من الضروري إنشاء نسق حداثي –أخلاقي جديد يغطي النقص في الجانبين،وهو ما يمثل محتوى محاولته.واعتبارا من هنا يحاول طه إقامة مشروع يتماشى ونظريته في تداخلية المعرفة،إذ يبني المصطلح على أسس النظرية التكاملية في الدلالة ويستخدمه وفق أصول النظرية التداولية التي تكرس الاهتمام بتعددية الدلالة بالنظر إلى تعدد استعمالاتها واختلاف التأثير والتغيير.ويعترض طه على آليات ووسائل القراءة التجزيئية التفاضلية للتراث ،نظرا لاستعارتها من مجال تداولي مختلف عن المجال التداولي الإسلامي،من هنا انتقل إلى التأسيس لقراءة تكاملية للتراث تعول على آليات

التقريب التداولي في المنقولات الأجنبية والمجال التداولي الأصلي الذي يعد نقطة انطلاق"ونحن ماضون الآن إلى بسط الكلام في هذا المفهوم الذي نعده بمنزلة الدعامة الأساسية الذي تستند إليها نظرتنا في تكامل التراث"1

3- الاطار المرجعي لفكر طه عبد الرحمن:

يعتمد المفكر طه عبد الرحمن بشكل رئيس على المنطق الصوري في معالجة الموضوع ،وهذا بطبيعة الحال نتيجة كونه من كبار المناطقة في الفكر العربي المعاصر،لذلك نجد أن معالجته للمادة تعتمد أولا على معالجة مشكلة المصطلحات، ثم على التقسيم المنطقي للموضوع،ثم على الاستدلال المنطقي لإثبات القضايا محل البحث.ولكنه في الوقت نفسه،باعتبار تخصصه أيضا،يعلم ما وصل إليه الفكر المعاصر من حدود المنطق والرياضيات وفلسفة العلم.كما يعلم ما وصل إليه الفكر من تجاوز المفهوم ،والفصل بين الذات والموضوع.الذي يمثل المسلمة الضمنية الأساس في المنطق الصوري التقليدي .لذلك يمكن تقسيم منهجيته إلى معالجة مشكلة المصطلحات ثم قضية حدود المعرفة،ثم قضية الفصل بين الذات والموضوع.

4-التكامل المعرفي في العلوم الإسلاميةعندطه عبد الرحمن :

ظهرت رؤية المفكر طه عبد الرحمن واضحة في كتابه" تجديد المنهج في تقويم التراث " فيقول ولقد نحونا في تقويم التراث منحى غير مسبوق ولا مألوف ولا معهود . فهو غير مسبوق لأننا نقول بالنظرة التكاملية . وحيث يقول غيرنا بالنظرة التفاضلية ، وهو غير مألوف . لأننا توسلنا فيه بأدوات مأصولة ، وحيث توسل غيرنا بأدوات منقولة[1] ، وفي هذا السياق ، المتعلق بالتداخلية بين العلوم ، وفي هذا الاختيار القائم على مقاربة التراث بالآليات المؤسسة على

[1]- طه عبد الرحمن تجديد المنهج في تقويم التراث ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .بيروت .ط2 ص 243-.

[2]- طه عبد الرحمن.مشروعية المنطقع1.س1.1989.ص.92

التداخلية، قسم الدكتور طه عبد الرحمن ، هذا التداخل الحاصل بين العلوم في التراث العربي الإسلامي إلى قسمين أساسيين اثنين :

1- **التكامل الداخلي:** وهو الذي يحصل بين العلوم التراثية الداخلية بعضها مع بعض ، دون تأثير للعلوم المنقولة إليها من ثقافات أخرى

2- **التكامل الخارجي**: وهو الذي يحصل بين العلوم المأصولة الأصلية والعلوم المنقولة الوافدة عليها من ثقافات أخرى، من ذلك تداخل علم أصول الفقه مع المنطق ، وعلم النحو مع المنطق في القرن الخامس الهجري [1]وهي المرحلة المسماة بمرحلة المتأخرين ، لأن المجال التداولي لهذه المرحلة كان بحاجة ماسة إلى علم المنطق بحكم الخاصية المعيارية الحاكمة لهذا العلم ،و من ثم حضور المنطق بين علماء الأصول خاصة ، اكتسب دعامته و اثبت مشروعيته من خلال كونه العلم الراشد و الخادم و المساعد على تشيد الاستدلالات، و بناء الأنساق و تركيب البراهين. و الفصل بين الصحيح الفاسد، و الهادي الى المسالك الصحيحة المعتمدة في الاستدلال. فهو الأداة التي تجنب صاحبها الوقوع في الاستدلال الفاسد وتمكنه من التميز بين البراهين الصحيحة من الفاسدة، وهي تساعده في استدراك الخطأ في بناء الأحكام. ومما يذكره الدكتور طه عبد الرحمن في حديثه عن تقارب العلوم المأصولة مع العلوم المنقولة مثل المنطق صعوبة تقويم إنتاج أي أحد من العلماء في الإسلام، ما لم يقع التسليم بأن إنتاجه قد تداخل مع أقرب العلوم، في المجال التداولي العربي، ومنها علم المنطق[2]،و بحكم أن الحاجة للمنطق،طهرت متأخرة، لعدة اعتبارات

ومن أبرز مؤلفات المفكر طه عبد الرحمان(اللغة والفلسفة) (رسالة في البنيات اللغوية لمبحث الوجود) (رسالة في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه) (المنطق والنحو الصوري) (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام) (العمل الديني وتجديد العقل) (تجديد المنهج في تقويم التراث) (القول الفلسفي: كتاب المفهوم والتأثيل) (سؤال

علمية، و معطيات ثقافية وحضارية، ذلك أن الحقل المعرفي الإسلامي في بدايته كان همه الأول هو الاشتغال بالنص توثيقا و تحقيقا، وبيانا و استمدادا [1] وذلك بتثبيت مجموعة من المعارف، و تشييد العلوم المأصولة و الموجهة مباشرة إلى خدمة النص القرآني[2].

يضم كتاب تجديد المنهج في تقويم التراث أبوابا رئيسة ثلاثا، ينتظم كل باب في فصول من كتاب كله لإثبات التقويم التكاملي للتراث، و إلغاء التقويم التفاضلي بناء على أدلة و براهين وممارسات منهجية تؤدي إلى النتائج المرجوة، برهنة و دلالة على أهمية الموضوع، وفعالية الاجتهاد لإبطال الدعوى التجزيئية في تقويم التراث.

الباب الأول: وخصه لإبطال التقويم التفاضلي للتراث العربي الإسلامي، اعتمادا على مبادئ نظرية، و أخرى عملية، تؤديان في النهاية إلى التدليل على صدق المقولة، و العمل بمقتضاها.

و من المبادئ التي ارتكز عليها الباحث ضرورة تحصيل المعرفة الشاملة بمناهج المتقدمين لوضع نظريات جديد تعين على استعادة وحدة العلم و العمل بالصواب كما اقرها أصحاب التراث.

واختتم فصول الباب الأول الثلاثة بمناقشة قضية التقويم التجزيئي للتراث، حيث يميل المفكر فيها إلى دحض القضية التجزيئية المسيئة للفهم

الأخلاق – مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية) (الحق العربي في الاختلاف الفلسفي) (الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري) (روح الحداثة – المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية) (الحداثة والمقاومة) . (روح الدين – من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية) (سؤال العمل – بحث في الأصول العملية في الفكر والعمل)

[1] طه عبد الرحمن.الدرس المنطقي في التراث العربي الإسلامي،الفصل الخاص الحاجة إلى المنطق.ص121.

[2] د.محمد مرسلي.تاريخ المنطق عند العرب كيف نؤرخ للعلم .العدد58 السنة1996.

الجيد للتراث، والى التأويل الصحيح، اعتمادا على آليات عقلانية و إيديولوجية لا تساعد على تقويم التراث بموضوعية و علمية، و بدلك ينصب الاهتمام على نماذج تراثية دون أخرى، ويحصل التقطيع و التجزيء الذي يفوت على الباحث الدراسة الشمولية المرجوة، ويرى المفكر أن ما ذهب إليه الجابري في مؤلفه نقد العقل العربي في موضوع التراث، تمثل نموذج لدعوة التعارض في تقويم التراث.

الباب الثاني: ويطرح فيه الدكتور طه عبد الرحمان رأيته للنظرة التكاملية للتراث انطلاقا من معيارين: أولهما: تحقق التداخل و التقريب في مجموع المعارف التراثية مع ما يلزم ذلك من النظر التمحيص في العلوم بالنسبة إلى المجال التداولي الإسلامي العربي وحددها في أربعة علوم أصول الفقه، علم الأخلاق، المنطق الصوري و الفلسفة الإلهية.

وثانيهما يتعرض لشروط الرد على اعتراضات خصوم النظرة التكاملية، وتوزعت هدا الباب فصول ثلاثة: عالج أولها التقويم التكاملي و البناء الآلي للتراث من حيث كونه يهتم بكشف الآليات الإنتاجية التي تصلح لشتى العلوم، و تسنحكم في محتويات النصوص التراثية، وهي آليات مادية وأخرى صورية. ويرى المؤلف إن علاقة الإلية بالعلم علاقة جذرية، وتبدو ملامح هذه العلاقة قوية بين الآلية و التراث في التناول المقصدية و النتائج.

أما ثالث الفصول، فهو أكثرها علاقة بجزئيات الدعوى المطروحة حول التداخل المعرفي الخارجي و تكامل التراث، ممثلة في إنتاج ابن رشد في مجال الفلسفة الإلهية، موضحا أن التشاكل بين العلوم لا يعني الانفصام، و أنما يعني الترابط و المطابقة، إضافة إلى أن مسألة التداخل واردة فيما اصطلح عليه بالمسكوت عنها في النصوص الرشدية.

ويتوسل المؤلف في تناول هذا العنصر بآليات و ضبط قسمها قسمين: استشكالية و استدلالية.

الباب الثالث: يجعله مؤلف لتحليل و نقاش دعوى التقريب التداولي كمنفذ إلى النظرة التكاملية إلى التراث الإسلامي العربي من حيث التنوع و التفاعل و الاستمرار.

ومن أبرز الآليات التي توسلت بها الحداثة في إقامة مشروعها الدنيوي آلية تفريق المجموع أو قل آلية فصل المتصل ولما كان الدين يتصل بمختلف مجالات الحياة وكان اتصاله بها يتخذ أشكالا وأقدارا متفاوتة .فقد انبرت الحداثة لهده الأشكال المختلفة من الاتصال ،لتعطل قانون الدين في هده المجالات الحيوية،حتى تستقل تلك المجالات بنفسها ،تدبيرا وتقديرا[1].

5-موقف طه عبد الرحمن من التكامل المعرفي من خلال كتابه" سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد"، وهو كتاب صدر جانفي 2015عن المؤسسة العربية للفكر والإبداع وجاء العمل في 279 صفحة .وقد جاء الكتاب موزعا على ثلاث أبواب ألا وهي المنهجية التكاملية في التراث والمنهجية التداولية في الفلسفة والمنهجية الحجاجية في المنطق.وتضمن الكتاب أيضا علم أصول الفقه بين الحداثة والتكاملية والوسيلة مسلمات ونتائج النظر التكاملي في التراث حول كتاب تجديد المنهج في تقويم التراث إذ تضمن الباب الأول ثلاثة فصول كان الفصل الأول تحت عنوان كيف نجدد النظر في التراث؟،حيث اعتبر طه عبد الرحمان إن السؤال عن كيفية تجديد النظر في التراث يقتضي الابتداء بإعادة النظر في المفاهيم التي يتضمنها هذا السؤال،حتى تنبين أن معنى تجديد النظر هو أساس إحداث النقلة في الرؤية ويوضح طه في هذا العمل وبتأصيل أكثر في كتابه تجديد المنهج في تقويم التراث،كيف إن النظر التكاملي الذي اخذ به يحقق انقلابا في النظر،ذلك انه ينبني على مبادئ

[1] طه عبد الرحمان. بؤس الدهرانية.النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين..ط1، بيروت. 2014.ص 11.

وطرق تقابل المبادئ والطرق التي أنبنى عليها هذا الأخير،حيث تولى النظر القديم الاشتغال بالمضامين مقابل تولي النظر للاشتغال بالآليات، كما استعمل النظر الجديد المناهج المأصولة،في حين استعمل النظر القديم المناهج المنقولة،واستخرج طه عبد الرمان آليات التكامل بين أجزاء التراث ،فكان النظر التكاملي بذلك تجديدا حقيقيا . ،فرؤية طه عبد الرحمان للتراث من خلال كتابه المنهج ومن خلال أعمال أخرى للمؤلف يمكن أن نستحضر هذه الأصول الثلاثة،كما جاءت في خاتمة الفصل التداول والتداخل والتقريب بخلاف أصول النظرة التجزيئية للتراث وهي الاستنباط وشرط التقدم وشرط المناسبة.

وفي كتاب أخر لطه عبد الرحمن تحت "**عنوان الطبيعة الحوارية للمعرفة الإسلامية**" يذهب المفكر في اتجاه تأكيد موقفه ونظرته،فهناك رأي شائع بين الباحثين التقليديين بأن العلوم الإسلامية ذات ثقافة انعزالية،لا تقبل الآخر ولا تتقبل مناقشته ومحاورته.وهم في ذلك يبنون أحكامهم على الصورة النهائية التي وصلت إليها الثقافة الإسلامية.وبرأي طه أن المبدأ وسمة الاختلاف أهم ما يميز هذه الحضارة الإسلامية ،حضارة اللغة و الخطاب،وذلك بداية من القرآن الكريم والقرآن كتاب ذو نص حواري,وحجاجي،يقوم على محاورة المؤمنين والكافرين به على سواء.وذلك من خلال صيغ حجاجية تقوم على الاستفهام والتعجب والمحاورة،ويمكن ،ويمكن ،أن نستنبط منه معرفة حوارية لها قواعدها وشروطها وأخلاقها.

إن الطبيعة الحوارية للثقافة الإسلامية لا تنحصر فقط في مجادلة الآخر ومناظرته،بل أنها مغروسة في إنتاج هذه المعرفة وعلومها ،فكل المعرفة الإسلامية لم تنتج بمعزل عن المناظرة والمحاججة والتحاور،بل نشأت ضمن أفق حواري وفضاء مناظراتي بين منتجي العلم على شتى المستويات،من فقه وكلام ولغة.

وإذا كان لكل حضارة مجالها التداولي الذي يتكون من العقيدة واللغة والمعرفة كما وضح المفكر طه عبد الرحمان في كتاباته المعمقة حول" **أصول الحوار وتجديد علم الكلام** "و"**التكوثر العقلي** " و"**الحق العربي في الاختلاف الفكري**"،فان المجال التداولي للثقافة العربية هو مجال حواري على المستويات الثلاثة التي تشكل بنية هذا المجال التداولي.ويمكن إن أوضح،بشيء من الاختصار الطبيعة العلائقية والتكاملية للمعرفة الإسلامية للعقيدة واللغة والمعرفة كما يأتي.

6- دواعي التداخل والتكامل المعرفي .

من الدواعي المساهمة للتكامل المعرفي في العلوم الإسلامية، مركزية القرآن الكريم في الثقافة العربية الإسلامية والحضور البارز لنصه وتجليه،بشكل قوي ولافت للانتباه،في جميع العلوم الحاضرة،ومثلها في التراث العربي الإسلامي .فقد نتج عن محورية النص القرآني في الثقافة العربية الإسلامية أن قامت شبكة متكاملة ومتداخلة من العلوم ،من فقه، وأصول،وحديث، وسنة، وتفسير ،وقراءات،وغيرها من العلوم الشرعية،بالإضافة إلى علوم الآلة،وهي علوم العربية التي تعرف بالعلوم المساعدة،كالنحو والصرف والتصريف والمعجمية وفقه اللغة و البلاغة والتي لها حيز واسع،وحضور قوي في مباحث العلوم الشرعية . فما من علم إلا وكان القرآن الكريم هو المحور الذي يتحرك حوله هذا العلم ،وهذا الأمر ينطبق على مختلف فروع المعرفة الإنسانية التي ظهرت في الثقافة العربية الإسلامية وتطورت في أحضانها...فمدار العلوم الإسلامية كلها كان هو النص المؤسس وهو القرآن الكريم ،مما جعل البحث في أي علم من العلوم الإسلامية يشكل ميدانا فسيحا وفضاء واسعا ومحورا متشابكا ومتداخلا بين عدد من العلوم. ومن هنا نقول أن ما ساعد على هذا التكامل والتواصل بين هذه العلوم وجميع فروعها وأقسامها أصلية كانت أم خادمة للأصل هو وحدة المرجع الذي يجمعها.إذ التحمت هذه العلوم جميعا

في نسق واحد من أجل خدمتها للقرآن الكريم توثيقا واستمدادا وبيانا فقد اتجهت كل العلوم نحو القرآن الكريم بيانا واستنباطا وتأويلا وتوثيقا وتحقيقا وقراءة" 1 فالعقيدة الإسلامية ذات طبيعة حجاجية،بمعنى أن النص القرآني قد دخل في حجاج مع المخالفين لهذه العقيدة فعمل القرآن على إيضاح مسالك وطرق هذه العقيدة بسبل حجاجية معروفة،وناقشت اليهود والنصارى بالبرهان الذي هو أساس الحجاج

النافع والمناظرة المجدية،بل هناك حث واضح في القرآن على مطالبة المخالف بالدليل والبرهان.

وإن اللغة العربية التي هي لغة الثقافة الإسلامية،ومخيا لها الرمزي من خلال ضروبها من نحو، وأدب ،وبلاغة،قد بنيت على نحو حجاجي على نمط حواري أخاذ.

7-تجليات التداخل والتكامل المعرفي في العلوم الإسلامية:

1 - علم الكلام:

يعد من العلوم التي نشأت في الحضارة الإسلامية لأسباب اقتضاها المسار الثقافي والحضاري لهذه الأمة،خاصة في تفاعلها مع الحضارات الأخرى الوافدة والدخيلة على الإسلام ،وكانت الغاية من هذا العلم هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية،وإبطال أقاويل الخصوم ،ولا أدل على ذلك من هذا التعريف الذي ورد في كتاب "إحصاء العلوم" للفارابي إذ عرف هذا العلم بأنه:صناعة علم الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الأفعال المصرح بها واضع الملة،وتزييف كل من خالفها من الأقاويل[1].والتعريف الذي اختاره أبو حامد الغزالي في" المنقذ من الضلال" إذ عرف علم الكلام بأنه"حفظ عقيدة

1د محمد المالكي .دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان ص21 منشورات وزارة الأوقاف المغربية 2000

2. الفارابي .إحصاء العلوم .ص 131 [1]

أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة"[1] .وهذان التعريفان رغم اختلافهما،فإنها يشتركان في البعد الدفاعي، و الحجاجي لهذا العلم،ومن هنا اختار ابن خلدون وقرر أن يعرف هذا العلم بقوله:"علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية،والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف"[2]

وعلم الكلام من العلوم التي جسدت انشغالات الحضارة الإسلامية في تفاعلها مع الحضارات الأخرى، وهو من العلوم المتأخرة في النشأة،واختار الدكتور طه عبد الرحمان أن يصفه، وأن يسميه بعلم المناظرة العقدي،لأنه يحمل الصفة الحجاجية في بنائه[3] وهو ما جعله يستفيد من مباحث المناطقة المسلمين، من حيث تسخيره لآليات الحجاج الحاضرة في علم المنطق.وهذا دليل على انه من العلوم التي تأثرت بغيرها من العلوم وأثرت على غيرها من العلوم الأخرى،لان كان هو العلم الأصل ،بحيث كان ينعت بأصول الدين والعلوم الأخرى كانت فروعا له،وهو ما جعل البعض ينعتها بعلوم الفروع.

2-**علم أصول الفقه** :يعد من أهم العلوم التي جسدت مبدأ التواصل و التكامل بين العلوم والسبب يعود إلى نسقية هذا العلم ومعيار يته في بناء القواعد وتشييد الضوابط وصناعة الاستدلالات وتركيب البراهين ذلك أن علم أصول الفقه في بنائه العام يظهر بمظهر نسق من العلوم لم تدخل فيه شعب العلوم الإسلامية.وحدها بل دخلت فيه أيضا العلوم العقلية المنقولة والدخيلة على الثقافة العربية الإسلامية والوافدة عليها من ثقافات،أخرى"[4].وقد تحدث ابن

[1] ابو حامد الغزالي المنقذ من الضلال.. ص 16

[2]ابن خلدون المقدمة.ص 400

[3]طه عبد الرحمان.في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ص.8.

[4] طه عبد الرحمان .تجديد المنهج في تقويم التراث.ص76.

ابن خلدون .المقدمة.ص6400

خلدون في المقدمة عن علم أصول الفقه فقال "اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية واجلها قدرا وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث الأحكام"6.ولقد رد الدكتور بقوة على من استصغر هذا العلم أو قلل من شأنه أو من قيمته العلمية،لان القضايا والإشكاليات الكبرى، التي استحضرها علماء هذا العلم، لا يستطيع استحضارها الباحثون اليوم كما اعتبر الدكتور مهدي فضل الله، إن علم أصول الفقه،منهج دقيق وانه منهج لا يعادله منهج أخر في دقته وتماسكه ومرونته وقدرته على الخوض في مختلف موضوعات الشريعة،والوصول فيه إلى حلول اجتماعية إنسانية.

ومن هنا نقول إن علم أصول الفقه الذي يعد من أخص علوم الدين الإسلامي قد دخلت فيه مجموعة من العلوم العقلية المنقولة من الثقافات،والحضارات الأخرى .

8- خاتمة:

لقد حاولت من خلال هذا العرض التركيز على الجوانب الأساسية والهامة التي تناولها الدكتور طه عبد الرحمن في مقاربته لنظرته للتكامل المعرفي والتداخل بين العلوم الإسلامية،فبعد أن نظر المفكر في هذه العلوم وهو يلم شتات موضوعه المتشابك، أبان عن آليات تقويمه بمنهج جديد يتوخى تقصي جزئياته بأدوات إجرائية واليات عملية.تحمل على النظر في العلوم الإسلامية نظرة تكاملية لا تجزيئية.وتدعو إلى إعادة النظر فيها بروح الجدال الهادئ.والمفكر طه عبد الرحمن بنظرته هاته،نحا منحى آخر في كتاباته،وخط لنفسه طريقا جديدا في ربط الأدب واللغة والفلسفة والمنطق بالأخلاق بناء على رؤية واضحة في القراءة والملاحظة وعرض الرأي.وأفاد في موقفه من معطيات المناهج المختلفة لتقويم التراث الإسلامي العربي بروح العالم المتواضع والدارس المتمكن، والمنطقي الصعب المراس،واللغوي المتمرس بأفانين القول في كل حين .

هذا وقد حاولت جاهدا أن أكشف عن عواقب عدم تمثل هذه العلاقة التكاملية بين العلوم الشرعية من نظر طه عبد الرحمن ،أن كثيرا من الضعف والسقوط المنهجي يصيب بعض العلوم.كما حدث وأن عاتب ابن الكلبي في مقدمة تفسيره بعض المفسرين، لأنهم أغفلوا علم أصول الفقه،وجهود الأصوليين في التفسير.ولم يستحضروا في مباحثهم وفي سياق تفسيرهم للقرآن الكريم خاصة،ما تعلق بالقواعد اللغوية المخصصة للتفسير عامة ولتفسير النص القرآني خاصة .وهذا للصلة القوية بين علم أصول الفقه والتفسير، فكلاهما يشتغل على محور التفسير وعلى تمثل المعاني المحمولة في النص القرآني، ومن ثم فان أساس البناء الأصولي قائم على العلم باللغة العربية في جميع مستوياتها ومكوناتها.فمن خلال هذا البحث خلصنا إلى جملة نتائج أهمها: فلقد سعى طه إلى إحياء الاجتهاد ومراجعة الخطابات الفكرية السائدة وكذا الكثير من المفاهيم والتصورات التي بنيت على أسس إيديولوجية واهمة وسعى طه عبد الرحمن كذلك إلى بناء حداثة إسلامية أخلاقية تجاوز المرجعيات المتضاربة التي بنت الحداثة الغربية،كما سعى إلى تقديم قراءة تكاملية للتراث العربي الإسلامي تجاوز قصور القراءات التفاضلية والتجزيئية وعول على آليات التداخل المعرفي بحيث تتأسس على مصدرية مأصولة غير مستعارة من سياق حضاري مغاير.

قائمة المصادر والمراجع:

د.حسن ملكاوي.منهجية التكامل المعرفي. مقدمات في المنهجية الإسلامية، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.2012.

د.سالم يفوت.مكانة العلم في الثقافة الإسلامية.دار الطليعة.بيروت.لبنان.2005.

.ابن حزم.مراتب العلم.4.89

-.طه عبد الرحمن.تجديد المنهج في تقويم التراث.،المركز الثقافي العربي.الدار البيضاء.بيروت.ط2.

-طه عبد الرحمن مشروعية المنطق .ع1.س1.1989.

- طه عبد الرحمن.الدرس المنطقي في التراث العربي الإسلامي،الفصل الخامس. الحاجة إلى المنطق.

-د.محمد مرسلي.تاريخ المنطق عند العرب كيف نؤرخ للعلم .العدد58 السنة1996.

- طه عبد الرحمن . بؤس الدهرانية.النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين..ط1،بيروت.2014. طه عبد الرحمن.في أصول الحوار وتجديد علم الكلام.

أبو حامد الغزالي -المنقذ من الضلال

ابن خلدون .المقدمة.

أبو نصر الفارابي .إحصاء العلوم .ص 131[1]